جـــلفر

كانَ جَلْفَرُ الابنَ الثَّالِثَ لِرَجُلٍ يَمْلِكُ ضَيْعَةً صَغِيرَةً فِي مُقَاطَعَةِ نُوتِنْجِهَامَ بِإِنْجِلْتِرَا . وَأَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى لَنْدَنَ لِيَشْتَغِلَ مُسَاعِداً لِأَحَدِ الجَرَّاحِينَ . وَكَانَ أَبُوهُ يَبْعَثُ إِلَيْهِ بَيْنَ كُلِّ حِينٍ وَآخَرَ ، بِقَلِيلٍ مِنَ النُّقُودِ ، فَكَانَ جَلْفَرُ يُخَصِّصُ جُزْءًا مِنْهُ لِتَعَلُّمِ المِلَاحَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى دَائِماً أَنْ يَكُونَ بَحَّاراً وَقَدْ أُتِيحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ لِإِشْبَاعِ تِلْكَ الرَّغْبَةِ فِي نَفْسِهِ ، لَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ « الكَبْتِنُ بِرِنْشَارْدُ » رُبَّانُ السَّفِينَةِ «أَنْتِيلُوبَ» (Antelope) أَنْ يَقُومَ مَعَهُ بِرِحْلَةٍ إِلَى البَحْرِ الجَنُوبِيِّ وَفِي مَايُو سَنَةَ ١٧٠٠ م أَبْحَرَتِ السَّفِينَةُ « أَنْتِيلُوبُ » مِنْ « بِرِسْتُول » (Bristol) وَبَيْنَ رِجَالِهَا جَلْفَرُ . وَحَدَثَ أَنْ هَبَّتْ فِي الطَّرِيقِ عَاصِفَةٌ قَلَبَتِ السَّفِينَةَ بِمَنْ عَلَيْهَا بِالْقُرْبِ مِنْ بِلَادِ « فَانْ دِيمِنْ » (Van Diemen) وَلَمْ يَنْجُ مِنَ البَحَّارَةِ سِوَى « جَلْفَرَ » الَّذِي وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَارْتَمَى عَلَى الأَرْضِ مَنْهُوكَ القُوَى مِنْ فَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ فِي السِّبَاحَةِ ، وَرَاحَ يَغِطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .

قَالَ جَلْفَرُ : « وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ ، وَجَدْتُ شَعْرِي وَذِرَاعَيَّ وَرِجْلَيَّ مَشْدُودَةً إِلَى الأَرْضِ شَدًّا مُحْكَماً . فَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِي أَنْ أَتَحَرَّكَ مُطْلَقاً !! وَكَانَتِ الشَّمْسُ شَدِيدَةَ الحَرَارَةِ ، وَالضَّوْءُ يَسْطَعُ فِي عَيْنَيَّ ، وَكَانَ ذَلِكَ يُضَايِقُنِي كَثِيراً ! وَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ ، إِذْ سَمِعْتُ أَصْوَاتاً غَرِيبَةً مِنْ حَوْلِي . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ شَعَرْتُ بِجِسْمٍ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى سَاقِي الْيُسْرَى . وَأَخَذَ ذَلِكَ الجِسْمُ يَسِيرُ فَوْقِي بِلُطْفٍ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى ذَقَنِي . وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَبَيَّنَ ذَلِكَ المَخْلُوقَ الغَرِيبَ فَإِذَا بِهِ إِنْسَانٌ صَغِيرٌ ، لَا يَزِيدُ طُولُهُ عَلَى سِتِّ

ولما استيقظت وجدت شعري وذراعي ورجلي مشدودة إلى الارض شداً محكماً .

بُوصَات ، وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ وَسَهْمٌ . وَقَدْ شَعَرْتُ بَعْدَ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ أَنَّ أَرْبَعِينَ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْغَرِيبَةِ تَسِيرُ فَوْقِي !! وَهُنَا صِحْتُ صَيْحَةً شَدِيدَةً فَعَادَ بَعْضُهُمْ مُسْرِعاً ، وَرَمَى الْآخَرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ فَوْقِ إِلَى الْأَرْضِ . وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ أُصِيبُوا بِأَذًى كَبِيرٍ مِنْ جَرَّاءِ قَفْزِهِمْ مِنْ عُلُوٍّ كَهَذَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ شَعَرْتُ بِوَخْزٍ شَدِيدٍ فِي يَدِي ، وَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَخَذُوا يَرْمُونَنِي بِسِهَامِهِمُ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَقِرُّ فِي وَجْهِي وَجِسْمِي ، فَتُسَبِّبُ لِي أَلَماً شَدِيداً . وَتَوَلَّتْنِي حَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَلَمْ أَدْرِ مَاذَا أَصْنَعُ . وَخَطَرَ لِي أَنْ أَظَلَّ سَاكِناً ، حَتَّى لَا أُثِيرَهُمْ عَلَيَّ ، وَحَتَّى أَتَمَكَّنَ ، بَعْدَ أَنْ خَلَّصْتُ إِحْدَى يَدَيَّ ، مِنْ تَخْلِيصِ بَقِيَّةِ جِسْمِي . وَالْوَاقِعُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ، بَعْدَ إِذْ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُمْ جَمِيعاً مِنَ الْحَجْمِ الَّذِي وَصَفْتُ .

وَقَفَ الْقَوْمُ عَنْ رَمْيِ السِّهَامِ ، لَمَّا رَأَوْنِي سَاكِناً ، ثُمَّ سَمِعْتُ جَلَبَةً ، فَهِمْتُ مِنْهَا أَنَّ عَدَدَهُمْ قَدْ زَادَ كَثِيراً جِدًّا . وَالْتَفَتُّ قَلِيلاً ، فَرَأَيْتُ بَعْضاً مِنْهُمْ يُقِيمُونَ مِنَصَّةً (اسْتِرَادَ) مِنَ الْخَشَبِ تَرْتَفِعُ فَوْقَ الْأَرْضِ بِمِقْدَارِ قَدَمٍ وَنِصْفٍ تَتَّسِعُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ يَقِفُونَ عَلَيْهَا . وَبَعْدَ أَنْ أُعِدَّتِ الْمِنَصَّةُ ، وَقَفَ عَلَيْهَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، هُوَ أَكْبَرُهُمْ وَكَانَ يَرْتَدِي مِئْزَرَةً « سُتْرَةً » طَوِيلَةً ، وَمِنْ خَلْفِهِ غُلَامٌ يَحْمِلُ ذَيْلَ الرِّدَاءِ . وَنَادَى قَائِلاً : « لَانْجْرُو دِيهَلْ سَانْ » (Langro Dehul San) . وَفِي الْحَالِ تَقَدَّمَ أَرْبَعُونَ وَاحِداً مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَقْزَامِ وَفَكُّوا الْقُيُودَ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ شَعْرِي وَرَأْسِي . وَحَوَّلْتُ وَجْهِي ، فَرَأَيْتُ الْقَزَمَ وَاقِفاً يَتَكَلَّمُ وَيُشِيرُ بِيَدَيْهِ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الْيَسَارِ . وَلَمْ أَفْهَمْ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مَاذَا كَانَ يَقُولُ . وَلَكِنِّي أَدْرَكْتُ مِنْ إِشَارَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَاهُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِي ، أَوْ إِيقَاعِ الْأَذَى بِي ، مَا دُمْتُ مُسَالِماً . وَعِنْدَهَا رَفَعْتُ يَدِي كَدَلِيلٍ عَلَى الشُّكْرِ وَالْخُضُوعِ ثُمَّ أَشَرْتُ إِلَى فَمِي ، رَجَاءَ أَنْ يَفْهَمُوا أَنِّي جَوْعَانُ . وَيَظْهَرُ أَنَّ الْقَزَمَ الْخَطِيبَ فَهِمَ مَا أُرِيدُ ، فَأَصْدَرَ أَوَامِرَهُ إِلَى رِجَالِهِ ، فَجَاءَ مِائَةٌ مِنْهُمْ وَتَسَلَّقُوا جِسْمِي حَتَّى وَصَلُوا إِلَى فَمِي ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الطَّعَامَ فِي سِلَالٍ صَغِيرَةٍ ، كَانَ الْمَلِكُ قَدْ أَرْسَلَهَا ، عِنْدَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ خَبَرِي . وَكَانَ الطَّعَامُ غَرِيباً عَلَيَّ بِالطَّبْعِ فَقَدْ كَانَ مِنْ بَقَرٍ مَقْلِيٍّ لَا تَزِيدُ الْبَقَرَةُ فِي حَجْمِهَا عَلَى الْفَأْرِ ، وَمِنْ دَجَاجٍ مَقْلِيٍّ أَيْضاً لَا تَزِيدُ حَجْمُ الدَّجَاجَةِ مِنْهَا عَلَى الْفُولَةِ . وَكُنْتُ آكُلُ مِنَ الْخُبْزِ رَغِيفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً دَفْعَةً وَاحِدَةً !! وَكَانَ

الْقَوْمُ يصيحُونَ دَهِشِينَ مِنْ سُرْعَةِ أَكْلِي ، وَمِنَ الْكَمِّيَّاتِ الْهَائِلَةِ الَّتِي كُنْتُ أَلْتَهِمُهَا . وَأَشَرْتُ إِلَيْهِمْ بِمَا يُفِيدُ أَنَّنِي عَطْشَانُ ، فَجَاءُوا بِإِبْرِيقٍ مَمْلُوءٍ لَبَنًا وَأَفْرَغُوهُ فِي فَمِي وَطَلَبْتُ الْمَزِيدَ ، فَجَاءُوا بِإِبْرِيقٍ آخَرَ ، وَطَلَبْتُ إِبْرِيقًا ثَالِثًا فَلَمْ يَأْتُونِي بِهِ فَفَهِمْتُ مِنْهُمْ ، أَنِّي شَرِبْتُ كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ اللَّبَنِ . وَكَانُوا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَرْقُصُونَ عَلَى رِجْلَيَّ وَذِرَاعَيَّ ، وَيُغَنُّونَ طَرَبًا صَائِحِينَ : « هِيكْنَاهُ دِيجَلْ » (Hekinah Degal) وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ جَالَ بِخَاطِرِي أَنْ أُمْسِكَ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ مِنْهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَأَقْذِفَ بِهِمْ فِي الْفَضَاءِ وَلَكِنْ آثَرْتُ السُّكُونَ لِأَنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنْ أَكُونَ مُسَالِمًا

وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَنِي قَوْمٌ يَحْمِلُ إِلَيَّ خِطَابًا مِنَ الْمَلِكِ ، وَتَسَلَّقَنِي ، وَأَمْسَكَ الْخِطَابَ مَفْتُوحًا أَمَامَ عَيْنَيَّ . وَفَهِمْتُ مِنْ إِشَارَاتِهِ ، أَنَّ الْمَلِكَ أَمَرَ أَنْ أُحْمَلَ إِلَى عَاصِمَةِ مُلْكِهِ ، فَأَشَرْتُ إِلَى قُيُودِي لِيَفُكَّهَا . وَلَكِنَّهُ رَفَضَ قَائِلًا مَا مَعْنَاهُ : « لَا خَوْفَ عَلَيْكَ وَسَنَحْمِلُكَ . » ثُمَّ رَشُّوا عَلَى جِسْمِي نَوْعًا مِنَ الزَّيْتِ ، رَائِحَتُهُ جَمِيلَةٌ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْأَثَرِ فِي إِزَالَةِ الْجُرُوحِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا سِهَامُهُمْ .

بَعْدَ ذَلِكَ سَمِعْتُهُمْ يَصِيحُونَ : « بِبْلُمْ سِيلَنْ » (Peplom Selain) ، وَتَقَدَّمَ هَؤُلَاءِ ، وَخَفَّفُوا الْقُيُودَ قَلِيلًا مِنْ أَحَدِ جَانِبَيَّ ، فَشَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ ، وَاسْتَغْرَقْتُ فِي النَّوْمِ . وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَضَعُوا لِي « مُنَوِّمًا » فِي طَعَامِي .

وَكَانَ الْمَلِكُ قَدْ أَمَرَ بِأَنْ أُحْمَلَ عَلَى مَرْكَبٍ كَبِيرٍ ، وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ لِهَذَا الْغَرَضِ وَتَعَاوَنَ تِسْعُمِائَةٍ مِنَ الْأَقْزَامِ عَلَى وَضْعِي فَوْقَ الْمَرْكَبِ ، بَيْنَمَا كُنْتُ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ . وَكَانَ يَجُرُّ الْمَرْكَبَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَحْسَنِ جِيَادِ الْمَلِكِ . وَقَدْ وَصَلْنَا ظُهْرًا بَعْدَ مَسِيرِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَوَجَدْتُ الْمَلِكَ فِي انْتِظَارِي ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَسَلَّقْ جِسْمِي كَالْآخَرِينَ .

وتسلقني وأمسك الخطاب مفتوحاً أمام عيني .

وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ الْمَرْكَبُ كَنِيسَةٌ قَدِيمَةٌ مَهْجُورَةٌ . وَكَانَتْ أَكْبَرَ

بناء فى تلك البلاد ، وقد أعدّوها لتكون مسكناً لى . وكان بابها لا يزيد على أربعة أقدام فى ارتفاعه ! وقدمين فى اتساعه ! لذلك كنت

وحملت على المركبة الى العاصمة .

أدخله زاحفاً على يدىّ وصدرى . وقد وضع القوم فى إحدى رجلىّ حلقة وربطوا بها حبلاً ثبتوا طرفه الآخر بالقرب من الباب فكنت لا أستطيع البعد عن الباب أكثر من ثلاثة أقدام .

وفى صباح اليوم التالى ، وقفت أمام الباب فوجدت الخلاء كأنه حديقة صغيرة ! فالحقل لا يزيد مساحته على الأربعين قدماً مربعاً ، بينما كانت أعلى شجرة لا تزيد على سبعة أقدام . وكانت المدينة تبدو بذلك كإحدى الصور التى يلهو بها الأطفال . وبينما أنا واقف إذ أبصرت الملك . ومعه جمع من السيدات والرجال واقفين على سطح أحد المنازل المجاورة ، ليشاهدونى .

وكانوا يأتونى بالطعام على مركبات ، يتركونها بجوارى ، ويفرّون هرباً منى . وكان الناس يتجمّعون لمشاهدتى ، ولكنهم لا يجرءون على الدنوّ منى . وحدث أن أطلق على أحدهم سهماً ، كاد ينفذ من عينى ! وشاهد ذلك رئيس الشرط الذى كان مكلفاً بحراستى ، فقبض على ستة من النظارة ، وألقاهم إلىّ لأتركى تأديبهم . فأمسكت واحداً منهم ، ورفعته إلى فمى متظاهراً بأنى سآكله ؛ فأخذ يصيح فزعاً ، وأبدى الجند والجمهور استياءهم من هذا العمل الوحشى ! ! فضحكت ، ووضعته على الأرض بلطف . فبدت علامات السرور على رئيس الشرط . وكان عملى هذا سبباً فى نجاتى من الموت فيما بعد .

وفى أثناء ذلك كان الملك قد عقد مجلساً ، حضره جميع رجاله العظماء ليقرروا مصيرى . فاقترح أحدهم أن أقتل فى أثناء نومى ، ولكن الملك قال : « لو قتلناه أصيبت البلاد بوباء خطير بسبب

تَعفنِ جُثَّتِهِ . وَكَانَ الجَمِيعُ قَدْ هالَهُمْ مَبْلَغُ مَا اسْتَنفَدْتُهُ مِنَ الطَّعامِ فِى الأَيَّامِ القَلِيلَةِ التِّى قَضَيْتُهَا فِى بِلادِهِمِ ومَا سَتَتَحَمَّلُهُ البِلادُ مِنَ النَّفقاتِ البَاهِظَةِ مِنْ أَجْلِى إِذَا بَقِيتُ حَيًّا . وبَيْنَما هُمْ كَذلِكَ إِذْ جَاءَهم رَئِيسُ الشرَطِ ، وقَصَّ عَلَيْهِم مَا كانَ مِنْ حُسْنِ مُعامَلَتِى ، وصَفْحِى عَمَّنْ أَسَاؤُا إِلَىَّ . فَلَمَّا سَمِعُوا مِنْهُ ذٰلِكَ عَدَلُوا عَنْ قَتْلِى ، وَقَرَّرُوا الإِبقَاءَ عَلَى حَيَاتِى .»

النجار المرتجح

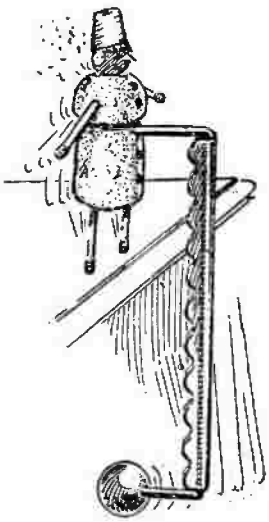

ترى فى الشكلِ نَموذَجاً لِنَجَّارٍ واقفاً عَلَى حافةِ مِنْضَدَةٍ، إِذَا أَمَلْتَهُ قليلاً ثم تَرَكْتَهُ ، أَخذَ يَهْتَزُّ ، فيُخَيَّلُ إليكَ أنهُ يَنشُرُ حافةَ المِنْضَدَةِ ، ويَستَمِرُّ فى الاهتِزازِ هكذَا وقتاً طويلاً ، من دونِ أَنْ يَسْقُطَ من مكَانِهِ .

ولِصُنْعِهِ اتَّبِعِ الخُطواتِ الآتيةَ :

(١) اصْنَعْ جِسْمَ النَّجَّارِ مِنْ قِطْعَةٍ مِنْ (الفَلِّينِ) ، كَسِدَادِ قَارُورَةٍ (زُجَاجَةٍ) كَبِيرَةٍ ، تُسَوَّى بِالْبَرَّاةِ وَالْمِبْرَدِ .

(٢) اصْنَعْ الرَّأْسَ مِنَ (البلاستسين) ، وأَلْصِقْهُ فِى مَوْضِعِهِ .

(٣) اعْمَلِ الذِّراعينِ والساقينِ من عيدان الثِّقابِ الطويلةِ ، وثَبِّتْها (بالسكوتين) فى ثقوبٍ تثقبُ فى قطعةِ (الْفَلِّينِ) ، فى موضعِ اتصالِ الذراعينِ والساقين.

وأَخيراً اعملِ الْمِنشَارَ من قطعةٍ من السلكِ ، تُثْنِيها عَلَى شكلِ ثلاثةِ أَضْلاعٍ من أَضْلاعِ الْمستطيلِ ، وثبتْ طَرَفَ أَحدِ الضِّلْعَيْنِ القصيرين فى وسطِ قطعةِ (الفلين) كما ثَبَّتَّ عيدانَ الثقابِ . وكَذٰلِكَ ثَبِّتْ فى طَرَفِ الضِّلعِ الصغيرِ الآخرِ كُرَةً من (البلاستسين) ، كما فى الشكلِ . أما الضلعُ الطَّوِيلُ الأَوسَطُ ، فألصقْ بِهِ قِطْعَةً منَ الوَرَقِ المُفَضَّضِ (أو الورقِ العادىِّ الذى يُطْلَى بالبرنزِ الأَبيضِ) ، بَعْدَ أَن تَقُصَّها عَلَى شَكْلِ سلاحِ المِنْشارِ كما فى الشَّكلِ . بعدَ ذلك لوِّنِ النَّمُوذَجَ كُلَّهُ ، بالألوانِ التى تَرُوقُكَ .